

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٩٣ : خ ١- ذكر الله تعالى ٢ : الذكر من السنة المطهرة ، خ ٢-
الناس في الصلاة على مراتب خمس .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٨-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ، ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما
توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً
بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله
سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على
سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين . اللهم
علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل
باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في
عبادك الصالحين .

الذکر الكثير :

أيها الأخوة الكرام ؛ كان موضوع الخطبة السابقة ذكر الله جلّ جلاله ، وبينت في تلك الخطبة ما
ورد في القرآن الكريم من آيات تأمر بالذکر الكثير ، ثم أكدت أن الأمر بالذکر يعني الذکر الكثير
، ذلك لأن المناق لا يذكر الله إلا قليلاً ، والمؤمن مأمور أن يذكر الله ذكراً كثيراً :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

وذكرت أيضاً أن الله سبحانه وتعالى حينما قال يصف الذي يعذب في النار :

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الحاقة : ٣٣]

بينما أي إنسان من عامة الناس ولو لم يكن ملتزماً يؤمن بالله :

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمُ بِاللَّهِ إِنَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

[سورة يوسف : ١٠٦]

فحينما نقرأ القرآن الكريم ينبغي أن نعلم علم اليقين أن الأمر بالذکر يجب أن يكون على نحو
الذکر الكثير .

في الخطبة السابقة تحدثت عن ذكر الله عز وجل من خلال آيات القرآن الكريم ، وفي هذه
الخطبة سأحدث عن الذکر أيضاً من خلال سنة النبي عليه أتم الصلاة والتسليم .

أيها الأخوة : مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الذكر يقول :

((آمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ))

وقبل أن أتابع الحديث نحن حينما ضعف الإيمان في قلوبنا فهمنا الدين عبادات شعائرية ليس غير ، بينما الدين يقتضي أن تتبع منهجاً تفصيلياً ، فكل أمر في القرآن الكريم ، وكل نهي في القرآن الكريم ، وكل أمر في السنة الشريفة ، وكل نهي في السنة الشريفة ، يقتضي أن يتوافق مع هذا الأمر بالاتباع ، ومع هذا النهي بالترك ، هذا هو الدين منهج تفصيلي يغطي كل شؤون حياتك ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

((آمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى

عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ))

[الترمذي عن الحارث الأشعري]

أنت أمام خيارين إما أن تكون مع الله عن طريق الذكر ، وإما أن تكون مع الشيطان عن طريق الشهوة ، شيطان يحركان الإنسان ؛ تقرب إلى الله ، واستمتاع في الدنيا ، لكنك إذا تقربت إلى الله لا يعني ذلك أنك محروم مما أودع الله فيك من شهوات ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفةً تسري من خلالها ، شتان بين من يتبع هواه وفق منهج الله ولا شيء عليه ، وبين من يتبع هواه بغير هدى من الله ، قال تعالى :

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص : ٥٠]

معنى ذلك الإسلام دين الفطرة ، الإسلام دين الحياة ، يمكن أن تحقق كل الرغبات التي أودعها الله فيك وفق منهج قويم ، وسلوك مستقيم ، وأنت بهذا تجمع بين نعم الله في الدنيا وبين نعمه في الآخرة .

ذكر الله يدور مع المؤمن في كل أوقاته :

أيها الأخوة ؛ الشيطان كما يقول ابن عباس رحمه الله تعالى ورضي عنه : " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنت " .

معك سلاح خطير لمجرد أن تذكر الله عز وجل الشيطان يبتعد عنك و يخنت ، وكل إنسان قبيض الله له ملك يلهمه ، وشيطان يوسوس له ، ينبغي أن يأخذ موقفاً .

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن أقوال النبي عليه الصلاة والسلام في شأن الذكر :

((ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل))

[الطبراني عن معاذ بن جبل]

بينت لكم في الخطبة السابقة أن ذكر الله يدور مع المؤمن في كل أوقاته ، وفي كل أحواله ، وفي كل شؤون حياته ، وبينت أيضاً أن أي شيء يقربك إلى الله من ذكر ، من دعاء ، من استغفار ، من إعلان توبة ، من مناجاة ، من تلاوة ، من صلاة ، من أمر بالمعروف ، من نهى عن المنكر ، هذا هو الذكر ، ما من عمل يتسع حتى يشمل كل شيء كذكر الله عز وجل ، والله عز وجل وصف المؤمنين بأنهم :

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٥]

ومن أدق ما في السنة الشريفة من أحاديث تتحدث عن الذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

((ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله عز وجل))

[مالك والترمذي وأحمد في المسند والحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء]

النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ألا تكفي هذه الآية الكريمة :

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

اللذة و السعادة :

أيها الأخوة : ما من مخلوق على وجه الأرض إلا ويبحث عن سلامته وسعادته ، حينما نوقن جميعاً أن سعادتنا بذكر الله ، والآية توضح ذلك :

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

لم تأت الصياغة : تطمئن القلوب بذكر الله ، لو كانت كذلك لأشارت إلى أن القلوب تطمئن بذكر الله ، وتطمئن بغير ذكر الله ، لكن حينما قال الله عز وجل :

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

يجب أن نعلم علم اليقين أنه لا سعادة لنا إلا بالقرب من الله ، لكن الذي يتوهمه الناس سعادة هي لذائذ حسية ، تأتيك من الخارج ، وقد توفرها الظروف وقد لا توفرها ، وهذه اللذائذ الاستمتاع بها متناقص ، هكذا شاعت حكمة الله عز وجل ، وإن لم تكن وفق منهج الله أعقبها كآبة مدمرة ، لذائذ حسية تأتيك من الخارج ؛ من مال ، أو من بيت ، أو من مركبة ، أو من امرأة تأتيك من الخارج ، أثرها تناقص لحكمة أرادها الله عز وجل ، تعقبها كآبة إن لم تكن وفق منهج الله ، وإن كانت

وفق منهج الله من المباحات إنما هي لذائد عارضة ليس لها أثر مستقبلي ، بينما السعادة التي أرادها الله لنا تتبع من الداخل .

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

لا تحتاج إلى ظروف خارجية إطلاقاً ، وقد تكون في أحسن حياة وأنت من أسعد الناس ، وقد تكون في أضعف حياة وأنت أشقى الناس ، هذه هي السعادة إنها متنامية ، تلك متناقصة وهذه متنامية ، تلك لها ثمن باهظ يجب أن يكون معك مئات الألوف بل بضع الملايين حتى تحقق هذه اللذائذ التي تطمح إليها ، بينما السعادة تكفي أن تكون منيباً لله عز وجل ، مقبلاً عليه ، متبعاً لمنهجه ، طائعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

((ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله عز وجل))

[مالك والترمذي وأحمد في المسند والحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء]

المقارنة بين مجالس الذكر و المجالس الأخرى :

أيها الأخوة : هل تصدقون أن إنساناً في هذه الحياة ليس له لقاءات مع أصدقائه ؟ مع أقربائه ؟ مع جيرانه ؟ مع إخوانه ؟ مع زملائه ؟ مع من يلوذ به ؟ يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَّا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

يجتمع الناس يدعون إلى ولائم ، يسمرون في ليالي الصيف ، يتحدثون مادام الحديث بعيداً عن ذكر الله ، يقومون عن هذا المجلس وكأنهم قاموا عن أنتن من جيفة حمار ، هكذا يقول عليه الصلاة والسلام ، تقوم من المجلس وأنت محطم ، ليس هناك خبر سار ، ليس هناك أمل كبير ، ليس هناك تفاؤل مديد ، إنك تحاط بأخبار لا ترتاح لها ، هناك تنافس ، هناك افتخار ، هناك زهو ، هناك استعلاء ، هناك غطرسة ، أما إذا كنت مع المؤمنين وذكرت الله عز وجل إن في تدارس كتابه ، أو في الحديث عن سنته ، أو في ذكر سير صحابته ، تشعر أنك في أعلى عليين . أيها الأخوة بالمقابل :

((لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده))

[أبو داود عن أبي هريرة]

الملائكة تحفك تلهمك الصواب ، الرحمة تغشاك ، والرحمة أئمن عطاء من الله عز وجل ، واسعة جداً تبدأ من سلامتك ، وتنتهي بسعادتك ، تمر بالتوفيق ، بالتأييد ، بالنصر ، بالحفظ ، بالراحة النفسية ، بالتوازن ، بالأمل ، بالتفاؤل ، فهؤلاء القوم إذا جلسوا مجلساً وذكروا الله فيه حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة . يصعب تفسيرها سعادة لا توصف ، يقول أحدهم : كنا في مجلس كأننا في الجنة ، ألم يقل بعض أصحاب رسول الله :

((نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين فإذا عافسنا الأهل ننسى))

[مسلم عن حنظلة]

أيها الأخوة ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة ولزارتكم في بيوتكم))

[مسلم عن حنظلة]

إنك إن دخلت إلى بيت من بيوت الله ، وجلست تستمع ما في كتاب الله من آيات، وما في السنة من أحاديث ، ثم نظرت إلى أعلام الصحابة كيف كانوا مسلمين متحركين ، كانوا رضوان الله عليهم رهباناً في الليل فرساناً في النهار ، هذه النماذج تبت فيك الأمل ، وتدفعك إلى العمل ، أما إذا اطلعت على ما تعرضه الشاشات لا تقوى على صلاة العشاء بعدها ، لماذا ؟ لأن الشيطان صرفك إلى مجال آخر بعيد عن مجال الدين .

أيها الأخوة :

((لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده))

[أبو داود عن أبي هريرة]

حياة القلوب تكون بذكر الله :

أيها الأخوة الكرام :

((أحد أصحاب رسول الله قال : يا رسول الله إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بها كلها فأخبرني بما شئت أتشبت به ولا تكثر عليّ فأنسى ؟))

[الترمذي عن عبد الله بن عمر]

وفي رواية أخرى : " يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ وأنا كبرت فأخبرني بما شئت أتشبت به ولا تكثر عليّ فأنسى " فقال عليه الصلاة والسلام :

((لا يزال لساتك رطباً بذكر الله))

أي أكثر من ذكر الله ، بذكر الله عز وجل تحيا القلوب .

((والنبي عليه الصلاة والسلام سئل قال السائل : يا رسول الله أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الذاكرون الله كثيراً ، قيل: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله ؟))

[الترمذي عن أبي سعيد]

أرفع درجةً الذاكِر الله كثيراً ، وهو أرفع درجةً من الغازي في سبيل الله .
فقال عليه الصلاة والسلام :

((... لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب دماً لكان الذاكِر الله كثيراً
أفضل منه درجةً))

الذاكر لله موصول بالإله العظيم، موصول بالعلم الغزير ، بالعطاء الكبير ، موصول بالقوة المبدعة في الكون .

القلب الميت قلب أعرض عن ذكر الله :

أيها الأخوة الكرام ؛ النبي عليه و الصلاة و السلام في بعض أحاديثه يقول وقد ورد هذا في صحيح البخاري :

((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))

[البخاري عن أبي موسى]

كم هي المسافة كبيرة بين الأحياء والأموات ، بين جثة هادمة تخاف منها لا تستطيع أن تنظر إليها ، وبين إنسان ممتلئ حيوية ونشاطاً ، يتحدث فيملاً قلوب الحاضرين بالأنس والسرور .

((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))

[متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه]

وقد قال الله عز وجل :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[سورة النحل : ٢١]

هذا الذي أعرض عن ذكر الله ميت القلب . ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء .

الله مع المؤمن بالحفظ و التأييد و التوفيق :

وفي الصحيحين :

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ

ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ
إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

لمجرد أن تتقرب من الله خطوة تشعر بانسراح في الصدر ، ويسر في الأمر ، وقرب من الله عز وجل ، تقول : أنا في جنة ، تقول : ليس في الدنيا من هو أسعد مني ، أنت ماذا فعلت ؟ خطبت ود الله عز وجل اقتربت منه خطوة ، هذا الحديث أيها الأخوة يملأ القلب أملاً وسعيًا إلى مرضاة الله عز وجل .

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي))

ومعنى معه أي معه بالحفظ ، معه بالتوفيق ، معه بالتأييد ، معه بإنزال السكينة على قلبه ، معه بأن يدافع الله عنك ، معه بأن يلقي في قلبك السكينة ، معه بأن يبسر أموره بالدنيا ، هذه معية خاصة .

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ ، إِذَا ذَكَرْتَنِي فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ
ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

المؤمن الصادق أيها الأخوة يضع نفسه في التعظيم ، همته الأول أن يذكر الله للناس ، همه الأول أن يقرب الناس من الله ، همه الأول أن يدفع الناس إلى طاعة الله ، ينسى نفسه ، وهذا من إخلاصه ، أما الذي يلقي الأضواء على ذاته ليلاً نهاراً فهذا يعبد ذاته ولا يعبد ربه .

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي ، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ
ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ
إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

تجلي رحمة الله على قلب المؤمن و هو في المسجد :

أيها الأخوة الكرام ؛ النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : حَلَقُ الذِّكْرِ))

[الترمذي عن أنس]

دخلت إلى بيت من بيوت الله لا تبتغي طعاماً ولا شرباً ولا أنساً بأصدقائك ، تبتغي وجه الله ، فأنت ضيف الله ، لذلك كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل إلى المسجد يقول :

((اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ))

[مسلم عن أبي حميد]

فإذا خرج من المسجد يقول :

((اللهم افتح لي أبواب فضلك))

[مسلم عن أبي حميد]

فأنت بين رحمة الله تتجلى على قلبك في المسجد ، وبين أن يكون الله معك في حياتك اليومية ، فيحفظك ، ويرعاك ، ويؤيدك ، وينصرك ، ويوفقك ، ويجري على يديك الخير . الخير بيدي والشر بيدي ، فطوبى لمن قدرت على يده الخير ، والويل لمن قدرت على يده الشر. إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك .

أيها الأخوة : نذكركم بالآيات الكريمة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٤٥]

تتجحون في الدنيا والآخرة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

قال تعالى :

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٥]

﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾

[سورة البقرة : ٢٠٠]

هذا توجيه القرآن الكريم وهذه توجيهات السنة الشريفة .

أس المؤمن بذكر الله عز وجل :

أيها الأخوة : ذكر البيهقي عن عائشة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :

((ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة))

[أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان وهو حسن وعن عائشة رضي الله عنها]

أذكركم مرة ثانية : باب الذكر واسع جداً لك أن تقول : الله الله ، ولك أن تذكر بأذكار النبي : حسبي الله ونعم الوكيل ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، لك أن تذكر بأذكار النبي عليه الصلاة والسلام ، ولك أن تستغفر الله ، ولك أن تتوب إليه ، ولك أن تدعو إليه ، ولك أن تقرأ كتابه ، ولك أن تقرأ أحاديث رسوله ، ولك أن تراجع موضوعاً بالفقه ، ماذا أفعل ؟ وما حكم الشرع في هذا الذي أفعله ؟ ولك أن تستمع إلى درس علم ، ولك أن تأمر بالمعروف ، ولك أن تنهى عن المنكر ، ولك أن تصلي ، ولك أن تفعل أي شيء يقربك من الله عز وجل ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ، أو ذكراً لله عز وجل))

[مجلسان للنسائي عن أم حبيبة]

((عن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطباً بذكر الله عز وجل))

[ابن حبان عن معاذ بن جبل]

لو أننا تحدثنا قليلاً عما يدور في مجالس المسلمين ؛ حديث عن الأفلام التي شاهدوها ، وعن الممثلين والممثلات ، الأحياء منهم والأموات ، وعن الساقطين والساقطات ، وعن الذين يفعلون كل الموبقات ، والحديث عنهم ذو شجون كما يقولون ، بينما المؤمن يأنس بذكر الله عز وجل . ويقول عليه الصلاة والسلام :

((لكل شيء صقالة ، وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع))

[البيهقي في شعب الإيمان عبد الله بن عمر]

التلازم بين الغفلة عن ذكر الله وبين اتباع الهوى :

آخر شيء أيها الأخوة :

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

[سورة الكهف : ٢٨]

إياك أن تمشي مع غافل متبع للهوى ، ينبغي أن تكون مع ذاك الله عز وجل ، متبع للوحيين ، إياك أن تصاحب غافلاً أو متبعاً لهواه .

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾

[سورة الكهف : ٢٨]

معنى أغفلنا أيها الأخوة وجدناه غافلاً ، صحبت القوم فما أجبتهم أي ما وجدتهم جبناء ، صحبت القوم فما أبخلتهم أي ما وجدتهم بخلاء معنى أغفلنا بالمعنى الدقيق اللغوي وجدناه غافلاً ، لا كما يتوهم بعض الناس جعله غافلاً ، وجده غافلاً .

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

[سورة الكهف : ٢٨]

وكأن هناك تلازماً بين الغفلة عن ذكر الله وبين اتباع الهوى ، وكأن هناك تلازماً آخر بين ذكر الله عز وجل وبين اتباع الحق .

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

[سورة الكهف : ٢٨]

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لكم ، فيا فوز المستغفرين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الناس في الصلاة على مراتب خمس :

أيها الأخوة الكرام :

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه : ١٤]

الصلاة ذكر لله عز وجل ، بل إن الذكر أكبر ما فيها ، أي أن ذكر الله لك أكبر من ذكرك له ، إنك تذكره تعبدًا ، ولكن الله إذا ذكرك يذكرك حفظًا ، ويذكرك تأييدًا ، وتوفيقًا ، وإسعادًا ، قال بعض العلماء : الناس في الصلاة على مراتب خمس ... وأنا أوجه هذا الخطاب لنفسي أولاً ولكم ثانياً .

بعض العلماء قال : الناس في الصلاة على مراتب خمس ، أحدها مرتبة الظالم لنفسه ، المفرط الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها ، هذا ظالم لنفسه في الصلاة . والثاني من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ولكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس هذه مرتبة ثانية ، حافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ولكنه ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس .

والثالث من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق من صلاته فهو في صلاة وجهاد .

والرابع من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاةً لحدودها وحقوقها لئلا يضيع عليه منها شيء بل همه مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها . والخامس من إذا قام إلى الصلاة قام إليها لكن مع هذا قد أخذ قلبه ، ووضع بين يدي ربه عز وجل ، ناظرًا بقلبه إليه ، مراقبًا له ، ممثلًا من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين .

خمس مراتب : المرتبة الأولى صاحبها معاقب ، الظالم لنفسه المفرط انتقص من وضوئها ومن مواقيتها وحدودها وأركانها .

والثاني الذي يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ولكنه قد ضيع مجاهدة نفسه قال : الثاني محاسب و الأول معاقب .

والثالث من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار هذا مكفر عنه.
والرابع مثاب له عند الله ثواب المصلي كما أراد الله عز وجل .
والخامس مقرب من الله عز وجل ، فبين معاقب وبين محاسب وبين مكفر عنه وبين مثاب وبين مقرب إلى الله عز وجل .
أيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان إذا دخل في الصلاة فشغل بغير الله عز وجل أرخيت دونه الحجب،
إذا التفت إلى الله عز وجل رفعت بينه وبين الله عز وجل الحجب ، إما أن ترخي في وجهك
تضييق ذرعاً بالصلاة قال تعالى :

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾

[سورة النساء : الآية ١٤٢]

وإما أن تتصل بالله عز وجل فترفع الحجب بينك وبين الله ، اللهم اجعلنا من هؤلاء الذين يصلون
كما أراد الله لنا .
إني داع فأمنوا .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما
أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من
البيت، ولا يعزُّ من عاديته ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت . اللهم أصلح لنا
ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دُنياً التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها
مردُّنا ، واجعل الحياة لنا زاداً من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر ، مولانا رب
العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم
لا تؤمنا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تُتسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ،
وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد سخيّاً رخيّاً وسائر بلاد المسلمين .
اللهم نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من
عُضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء ، مولانا رب العالمين .
اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد
ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين